﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرٗا ٥٩﴾ [الفرقان: 59]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

بَيانُ عَظيمِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى

بَعْدَ أَن أمَرَ اللّهُ تَعالى نَبيَّهُ ﷺ بالتَّوكُّلِ عليه؛ لِكَوْنِهِ الحيَّ الَّذي لا يَموتُ؛ أَعْقَبَ ذلكَ بِذِكْرِ ما لَهُ مِن عظيمِ القُدْرَةِ بالملكِ والاخْتِراعِ وحُسْنِ التَّدْبيرِ؛ ليَحْسُنَ ظَنُّ المُتَوكِّلِ عَلَيْهِ، فقالَ سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿خَلَقَ﴾: (خلق) تَدُلُّ كثيرٌ مِن تَصْريفاتِها عَلى تَقْديرِ الشَّيْءِ[1]، وقيَّده الرّاغِبُ بالتَّقْديرِ المُسْتَقيمِ، ويُسْتَعْمَلُ الخَلْقُ في إبْداعِ الشَّيْءِ مِن غيرِ أصلٍ ولا احْتِذاءٍ[2]، والمَصْدَرُ: الخَلق، وهوَ في القرآنِ الكريمِ واردٌ لِمعانٍ عديدةٍ، منها: إبداع الشَّيء مِن غيرِ مثالٍ سابقٍ، كما في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [الأنعام: 73]، ومنها: إيجاد الشَّيء من الشَّيء، كما في قوله تعالى: ﴿۞إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلۡحَبِّ وَٱلنَّوَىٰۖ يُخۡرِجُ ٱلۡحَىَّ مِنَ ٱلۡمَيِّتِ وَمُخۡرِجُ ٱلۡمَيِّتِ مِنَ ٱلۡحَىِّۚ﴾ [الأنعام: 95]، ومنها: التَّصوير، كما في قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَوِّرُكُمۡ فِى ٱلۡأَرۡحَامِ كَيۡفَ يَشَآءُۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٦﴾ [آل عمران: 6]، ومنها: الاختلاقُ، وهو افتعال الكذب، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا تَعۡبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡثَٰنٗا وَتَخۡلُقُونَ إِفۡكًاۚ﴾ [العنكبوت: 17][3]، والمَعْنى المُراد في قَوْلِه تَعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾: أنَّه

(1) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (خلق).
(2) الرّاغب، مفردات ألفاظ القرآن الكريم: (خلق).
(3) محمّد هادي الخرسان، محاضرات في علم الأخلاق: 27 - 30.

هو الَّذي أنشأ السَّماواتِ السّبعَ والأرضين، فدبَّرهنَّ وما فيهنَّ في ستَّة أطوار مختلفات[1].

2) ﴿ٱلۡعَرۡشِ﴾: (عرش) تدلُّ اشْتِقاقاتُها على ارْتِفاعٍ في شَيْءٍ مَبْنيٍّ، ومِن ذلكَ: العَرْشُ، وهو سريرُ المَلِك، ومنهُ قولُه سُبْحانَهُ: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيۡهِ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾ [يوسف: 100]، ومنهُ قيل لكلِّ بناءٍ يُسْتَظَلُّ به: عرشٌ وعَريشٌ، وسقْفُ البيتِ: عرشٌ، ومنه قولهُ تَعالى: ﴿فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا﴾ [الحجّ: 45][2]، والعَرْشُ الواردُ في قولِه تَعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ﴾، هو عرشُ الرَّحْمَنِ، وهو أَعْلى المَخْلوقاتِ وأَعْظَمُها[3].

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

بَيانُ جَلالِ اللهِ تَعالى وقُدْرَتِهِ؛ لِيَحْسُنَ ظَنُّ المُتَوَكِّلِ عَلَيْهِ

الَّذي خَلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وما بَيْنَهُما في سِتَّة أيّام، ثُمَّ اسْتَوى عَلى العَرْشِ - أَيْ: عَلا وارْتَفَع - اسْتِواءً يَليقُ بِجَلالِه وعَظَمَتِه، هو الرَّحْمَنُ، فاسْأَلْ - أيُّها النَّبيُّ الكَريمُ - به خَبيرًا، يَعْني بِذَلِكَ سُبْحانَهُ نَفْسَه[4].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

دِلالَةُ الوَصْفِ بـ ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ﴾:

إثْباتُ سَعَةِ قُدْرَةِ اللهِ تَعالى وعِلْمِهِ

الاسْمُ المَوْصولُ ﴿ٱلَّذِي﴾ مِن قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ في محلِّ جرٍّ صفةٌ أخرى لـ ﴿ٱلۡحَيِّ﴾، مِن قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱلۡحَيِّ ٱلَّذِي لَا يَمُوتُ﴾، وجيءَ بهذه الصِّفَةِ، وهيَ صفةٌ فعليَّةٌ قد تقدَّمَتْها صفةٌ ذاتيَّةٌ، وهيَ تَقْتَضي إثباتَ سعَةِ القُدْرَةِ وسَعَة العِلْم؛ إذْ خَلْقُ السَّماواتِ والأرضِ، لا يكونُ إلّا عَن علمٍ مُحيطٍ، وقُدْرَةٍ تامَّة، وصاحبُ هذهِ الأَوْصافِ، حقيقٌ بِأَنْ يُتوَكَّل عليهِ، ويُفَوَّضَ الأمرُ إليه[5].

(1) المراغي، تفسير المراغي: 27/ 160.
(2) ابن فارس، مقاييس اللّغة: (عرش).
(3) البرّاك، توضيح مقاصد العقيدة الواسطية، ص: 104.
(4) نخبة من أساتذة التّفسير، التّفسير الميسر، ص: 365.
(5) أبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 227، والآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 37، والتّحرير والتّنوير: 19/ 60.

دِلالَةُ التَّعْبيرِ بِالفِعْلِ الماضي ﴿خَلَقَ﴾:

جيءَ بصلةِ المَوْصولِ فعلًا ماضيًا ﴿خَلَقَ﴾ مِنْ قولِهِ سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ للدِّلالَةِ على تحقُّقِ وصْفِ الخَلْقِ.

تَحَقُّقُ وصْفِ الخَلْقِ

دِلالَةُ جَمعِ لفظ ﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾:

اخْتارَ النَّظْمُ القُرآنيُّ التَّعبيرَ بالسَّماواتِ جَمعًا، في قولِهِ تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾؛ لأنَّ المقصودَ بها ذواتُ السَّماواتِ بأَعْدادِها الكثيرَةِ، والسَّماواتُ هيَ مَقَرُّ الملائكَةِ، ومَحَلُّ دار الجزاءِ، ومَهْبِطُ المَلائكَةِ والوَحْيِ، بخِلافِ ما إذا أُريدَ جِهَةُ العلوِّ؛ فإنَّها تَرِدُ مُفْرَدَةً[1].

السَّماواتُ: مَقَرُّ المَلائِكَةِ، ومَهْبِطُ الوَحْيِ، ودَليلُ عَظَمَةِ الخالِقِ

دِلالَةُ (أل) في لَفْظِ ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾:

(أل) في ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ مِنْ قَوْلِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ لامُ الجِنسِ المفيدَةُ عمومَ البقاعِ المندرجةِ في لفظها، وهيَ شامِلَةٌ لكلِّ ما يقَعُ عليهِ هَذا اللَّفْظُ، فيدخُلُ في لفظِ ﴿وَٱلْأَرْضَ﴾ الأرضونَ السَّبْعُ كُلُّها.

إفادَةُ عُمومِ جِنْسِ البِقاعِ المُنْدَرِجَةِ في لَفْظِ الأَرْضِ

دِلالَةُ (ما) في ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾:

(ما) في ﴿وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ من قولِ اللهِ ﷻ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ اسمٌ موصولٌ، أي: خلَقَ السَّماواتِ والأرضَ والَّذي بَيْنَهُما، وفي التَّعْبيرِ بالاسْمِ المَوْصولِ دلالَةٌ عَلى العُمومِ، أي: إنَّهُ سُبْحانَهُ خلَقَ السَّماواتِ والأَرْضَ وجميعَ الذي بَيْنَهُما.

كُلُّ ما في الكَوْنِ خَلَقَهُ اللهُ تَعالى، وهوَ دالٌّ عَلى عَظَمَةِ الصَّانِعِ

نُكْتَةُ التَّعْبيرِ بِـ ﴿بَيْنَهُمَا﴾:

آثَرَ البيانُ القُرآنيُّ التَّعبير بـ ﴿بَيْنَهُمَا﴾ في قولِ اللهِ سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ دون (بَيْنَهُنَّ)، لأنَّ السَّماوات جمعٌ؛ وذلكَ لأنَّ المَقْصودَ بالتَّثنيَةِ ﴿بَيْنَهُمَا﴾ الصِّنفانِ والنَّوعانِ والشَّيْئانِ[2].

بَيانُ كَوْنِ المَقْصودِ بالتَّثْنِيَةِ: الصِّنْفَيْنِ والنَّوْعَيْنِ

(1) عبد الفتّاح لاشين، صفاء الكلمة: 121 - 122.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 63.

دِلالَةُ التَّنْصيصِ عَلى الأَيّامِ السِّتَّةِ:

تَعْليمُ العِبادِ الصَّبْرَ والأَناةَ في الدَّعْوَةِ إلى اللهِ تَعالى

في التَّنصيصِ عَلى الأيّام السِّتَّة في قولِ الله سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ تعجيبٌ لِلجاهِلِ، وتَدْريبٌ للعالِمِ في الحِلمِ والأناةِ والصَّبْرِ عَلى العِباد في دَعْوَتِهم إلى اللهِ تَعالى[1].

تَوْجيهُ المُتَشابِهِ اللَّفْظيِّ بَيْنَ آيَةِ الفُرْقانِ وآيَةِ الحَديدِ:

دِقَّةُ البَيانِ القُرْآنيِّ في التَّصَرُّفِ بِالأَلْفاظِ زِيادَةً وحَذْفًا بِما يُلائِمُ السِّياقَ

قال اللهُ سُبْحانَه: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾، وقال اللهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: 4]، فخُصَّت آيةُ الفُرْقانِ بالاسْمِ المَوْصولِ وآيَةُ الحَديدِ بالضَّمير، ولم يُذْكَر في آيةِ الحَديدِ (وما بَيْنَهُما).

ووجهُ ذلكَ: أنَّ آية الفُرْقانِ تقدَّمها قولُ الله تَعالى: ﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱلْحَىِّ ٱلَّذِى لَا يَمُوتُ﴾، فلَمّا كان ما سَيَأْتي في مَوْضِعِ نَعْتٍ لـ ﴿ٱلْحَىِّ﴾، وكان السّياق متعلِّقًا بأهلِ الشِّرْكِ، كَما يدُلُّ لذلك قولُه تَعالى: ﴿وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَا لَا يَنفَعُهُمْ وَلَا يَضُرُّهُمْ ۗ وَكَانَ ٱلْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِۦ ظَهِيرًا ﴿٥٥﴾﴾ [الفرقان: 55]؛ ناسبَهُ قولُه سُبْحانَهُ: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ﴾، بخلافِ آيَةِ سورَةِ الحَديدِ؛ فإنَّه تقدَّمها قولهُ ﷻ: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد: 3]، فلَمّا كان السّياق قائمًا على ذِكْرِ الضَّمير (هو)، ومُتَعَلِّقًا بالسَّماواتِ والأَرْضِ، كَما يَدُلُّ لِذَلِكَ قولُه تَعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ﴾ [الحديد: 1]؛ ناسبَهُ ذِكْرُ الضَّمير ﴿هُوَ﴾ [الحديد: 4]، وعَدَمُ ذِكْرِ (وما بَيْنَهُما)، فقالَ تَعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾ [الحديد: 4][2].

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 414.

(2) سعد عبد العظيم محمّد، استدراك ما فات من بلاغة الآيات المتشابهات، ص: 750.

سِرُّ اختيارِ اسمِ اللهِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾:

رَحْـمَـةُ اللهِ سُـبْـحـانَـهُ سَبَقَتْ غَضَبَهُ، ووَسِـعَـتْ كُـلَّ شَيْءٍ

اختير اسمُ الله ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾، في قولِ الله ﷻ: ﴿ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾؛ لِنُكْتَتَيْنِ[1]:

إحداهُما: أنَّ اللهَ تعالى لَمّا ذكر عِلْمَهُ وإحاطَتَهُ بذُنوبِ العِباد، في قولِه: ﴿وَكَفَىٰ بِهِۦ بِذُنُوبِ عِبَادِهِۦ خَبِيرًا﴾، وكان ذلكَ قد يُشْعِرُ بتَعْجيلِ العُقوبَةِ لِمَن يَعْصيه، وعَدمِ إمهالِهم؛ أشارَ إلى أنَّه على خِلاف ذَلِكَ، وهو أنَّهُ سُبْحانَهُ يُمهِلُ العبادَ، وأنَّ رحمتَهُ سَبَقَت غَضَبَهُ.

والأُخْرى: أنَّ وصْفَ الرَّحْمَن أهَمُّ في الغَرَضِ الذي سيقَ الكلامُ لَهُ، وهو الأَمرُ بالتَّوَكُّل عليه؛ وذلكَ لأنَّ الرَّحمةَ وصْفٌ يَقْتَضي تَدْبيرَ اللهِ تعالى لأمورِ مَن تَوَكَّل عليه، بِقَويِّ الإسعافِ.

مَوْقِعُ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ مِنَ الإعْرابِ، وأَثَرُهُ في المَعْنى:

أَثَـرُ الإعْـرابِ في تَـكْـثـيرِ المَـعـاني وإبْـــرازِ بَـلاغَـةِ السِّياقِ

في وجهِ رَفْعِ ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ من قولِ اللهِ تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۖ ٱلرَّحۡمَٰنُ فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ ثلاثةُ أوجهٍ[2]:

أَحَدُها: أن يكونَ بَدَلًا مِنَ الضَّمير في ﴿ٱسۡتَوَىٰ﴾، وهو بدَلٌ مُطابِقٌ، والقَصْدُ من ذلكَ الإيضاحُ.

ثانيها: أن يكونَ مَرْفوعًا عَلى أنَّه خبرٌ لِمُبْتَدَأٍ محذوفٍ، والتَّقديرُ: (هو الرَّحمن)، والغَرَضُ من ذَلِكَ: المَدْحُ، ويكونُ هَذا من بابِ حَذْفِ المُسْنَدِ إلَيْهِ، وهو أسلوبٌ شائِعٌ في الاسْتِعْمالِ، إذا تقدَّمت أخبارٌ أو أوصافٌ لصاحِبِها.

ثالِثُها: أن يكونَ مَرْفوعًا بِالابْتِداءِ، والخَبَرُ هو الجُمْلَةُ بعدَهُ: ﴿فَسۡـَٔلۡ بِهِۦ خَبِيرًا﴾.

---

(1) البقاعيّ، نظم الدّرر، 13/ 415، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 60.

(2) القرطبيّ، الجامع لأحكام القرآن: 13/ 64، وأبو السّعود، إرشاد العقل السّليم: 6/ 227، والآلوسيّ، روح المعاني، 10/ 38، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 60.

دِلالَةُ الفاءِ في قَوْلِهِ تَعالى: ﴿فَسْـَٔلْ﴾:

العِـلْـمُ لازمٌ لِلخَالِقِ والمَلِكِ

الفاءُ في لفظ ﴿فَسْـَٔلْ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ فصيحةٌ؛ أفْصَحَت عَن شَرْطٍ مقدَّر، والتَّقدير: (إذا أدرتَ أن تَعْرِفَ ذلك؛ فاسأَلْ بهِ خَبيرًا، أو إن شِئْتَ تحقيقَ ما ذُكِر أو تَفْصيل ما تَقَدَّم؛ فاسأل مُعْتَنِيًا بهِ خَبيرًا عظيمَ الشَّأن مُحيطًا بِظَواهِرِ الأمورِ وبواطِنِها، وهو اللّه سُبْحانَهُ؛ يُطْلِعْكَ على حقيقةِ الأَمرِ)[1].

ويجوزُ أَن تكونَ الفاءُ سَبَبِيَّةً، وذلك لأنَّ العِلْمَ لازمٌ للخَلْقِ والمُلْكِ، فلمّا ذكَر الخَلْقَ والمُلْكَ في قولِه تَعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾؛ ذَكَرَ لازِمَهُما، وهو العلمُ ورتَّبه عليهما، فقالَ تَعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾[2].

تَعْيينُ المُخاطَبِ بِلفظ ﴿فَسْـَٔلْ﴾:

العِلْمُ واليَقينُ مَراتِبُ ودَرَجاتٌ، ومَـنِ ازْدادَ عِلْمًا؛ ازْدادَ يَقينًا

ظاهِرُ الخِطاب في قولِ اللّه تَعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ أنَّه موجَّهٌ للنَّبيِّ ﷺ، ولكنَّ المرادَ غيرُهُ[3]، وهذا بناءً على أنَّ الباعثَ على السُّؤال هو الشَّكُّ، والنَّبيُّ ﷺ لا يَقَعُ في قلبِهِ شَكٌّ فيما أخبرَ اللّه تعالى بهِ، فكان المرادُ غيرَهُ، وتكونُ هذهِ الآيةُ كقولِه تَعالى: ﴿فَإِن كُنتَ فِى شَكٍّ مِّمَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: 94].

أمّا إذا كانَ الباعثُ على السُّؤال، زيادةَ التَّحقُّق؛ فلا مانِعَ من إرادَةِ عُمومِ المُخاطَبين، لأنَّ العلمَ مراتِبُ ودرجاتٌ، ولا يُنافي السُّؤال أن يكون ثَمَّة يقينٌ سابقٌ بِمَضْمونِ الجَوابِ، فيَزداد السّائلُ بسُؤالِهِ يقينًا.

دِلالَةُ حَرْفِ (الباءِ) في ﴿بِهِۦ﴾:

تَـعَـدُّدُ المَعاني القُرْآنيَّةِ بِتَعَدُّدِ مَعاني الحُروفِ: مِـنْ بَـلاغَـةِ السِّياقِ

الباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللّه ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ تحتملُ أن تكون بمعنى (عَنْ)، والمعنى: فاسأل عنهُ خبيرًا، فيكون نظيرَ قولِ

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 38، وأبو زهرة، زهرة التّفاسير: 10/ 5307.
(2) البقاعيّ، نظم الدّرر: 13/ 415.
(3) الواحديّ، التّفسير الوسيط: 3/ 344، والبغويّ، معالم التّنزيل: 6/ 91.

اللّه تعالى: ﴿سَأَلَ سَآئِلٌۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ ۝١﴾[1] [المعارج: 1]، واختار ابنُ جَرير أن تكونَ صلةً، والمَعْنى: فسَلَهُ خبيرًا، ويكون لفظ ﴿خَبِيرًا﴾ حالًا[2].

ويَجوز أن تكونَ الباءُ تجريديَّةً، وذلك كقولِ العرَب: (لو لقيتَ فُلانًا؛ لقيتَ به البحرَ كرمًا)، أي: لقيتَ مِنْهُ[3]، والمرادُ بالخبير: اللّهُ سُبْحانَهُ؛ لأنَّه لا يعلم تفاصيلَ تلك المخلوقاتِ إلّا هو، وقيل: جبريلُ عليه السلام: والأوَّلُ أَوْلى[4].

دِلالَةُ تَقْديمِ الجارِّ والمَجْرورِ عَلى ﴿خَبِيرًا﴾:

الاهْتِمامُ بِالمُقَدَّمِ مُفْضٍ إلى المَعْنى المُرادِ

قُدِّم الجارُّ والمجرورُ ﴿بِهِۦ﴾ عَلى ﴿خَبِيرًا﴾، من قول اللّهِ تَعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾؛ لإرادَةِ الاهْتِمام بالمقدَّم، ورعايةً للتَّناسُبِ الصَّوْتيِّ لِرُؤوسِ الآي[5]، وحيثُ إنَّ الغايَةَ هي التَّعريف بالرَّحمن، فقد قدَّم الضَّمير العائد عليه، لإبْرازِ صِفَة الرَّحمانيَّةِ من خَبيرٍ بها، عارفٍ بِعَوارِفها، ومناطُ ذلك راجِعٌ إلى الدَّلالة "على أنَّ في رحمتِهِ مِنَ العظمة والشُّمولِ ما لا تَفي فيهِ العبارَةُ، فيعدل عَن زيادَةِ التَّوصيف إلى الحوالة عَلى عليم بِتَصاريفِ رَحْمَتِه، مجرِّب لها، متلقٍّ أحاديثَها ممَّن عَلِمَها وجرَّبها"[6].

بَلاغَةُ التَّجْريدِ في سياقِ الآيَةِ المَجيدِ:

المُبالَغَةُ في وصْفِ الخبَرِ

يَجوزُ أنْ تَكونَ الباءُ في ﴿بِهِۦ﴾ من قولِ اللّه سُبْحانَهُ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ تجريديَّةً، فيكونُ في الآيةِ أسلوبُ التَّجريد، كالَّذي في قَوْلِهم: (رأيتُ بِهِ أَسَدًا)، أي: رأيتُ بِرُؤْيَتِهِ أسدًا، وقولِهم: (إنْ سألْتَ فُلانًا؛ لتَسْأَلَنَّ به البَحْرَ)، ومَعْنى الآيةِ على هذا: فاسْأَل بسُؤالِهِ خَبيرًا، أي: إن سَأَلْتَهُ؛ وجدتَهُ خَبيرًا[7].

(1) الفخر الرازي، مفاتيح الغيب: 24/ 478، وابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 61.
(2) ابن جرير، جامع البيان: 19/ 287.
(3) ابن عطيّة، المحرّر الوجيز: 4/ 216.
(4) القِنَّوجيّ، فتحُ البيان في مقاصد القرآن: 9/ 340.
(5) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 61.
(6) ابن عاشور، التحرير والتنوير: 19/ 61.
(7) الآلوسيّ، روح المعاني: 10/ 38.

بَراعَةُ التَّجاذُبِ في الآيَةِ الكَريمَةِ:

تَـكْـثـيرُ المَـعـاني الـقُـرْآنـيَّـةِ وإثْراؤُها

الجارُّ والمجرورُ ﴿بِهِۦ﴾ في قولِ اللهِ ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ متعلِّقان بالسُّؤال، ويجوز تعَلُّقهما بـ ﴿خَبِيرًا﴾، أي: اسْأَلْ عَن ذلكَ خبيرًا بِهِ، ولا تنافيَ بَيْنَهُما، بل يَصِحُّ تنازُعُهُما فيهِ، وبناءً على هذا ففي الآيةِ أسلوبُ المُتَجاذِبِ، وحقيقتهُ: أن يكونَ اللَّفْظُ واحِدًا بينَ جُملتَيْنِ، يَصِحُّ جعلُه مِنَ الأولى والثّانيَةِ، وفائدتُهُ: تكثيرُ المعاني وإثْراؤُها[1].

دِلالَةُ تَنْكيرِ ﴿خَبِيرًا﴾:

إفـادَةُ العُمومِ في كُـلِّ خَـبـيرٍ، مَعَ تَعْظيمِ شَأْنِ الـخَـبـيرِ الأَعْـلـى سُبْحانَهُ

نُكِّر لفظ ﴿خَبِيرًا﴾ مِن قول اللهِ سُبحانَهُ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ لإفادةِ العمومِ، فلا يُظَنُّ خبيرًا بعينِهِ؛ لأنَّ النَّكرةَ إذا تَعَلَّق بها فعلُ الأمرِ؛ اقْتضَت عمومًا، بدليلِ أيِّ خبيرٍ سألتَهُ؛ فإنَّه سيُعْلِمُك[2].

ويَحْتَمِلُ أن يكونَ التَّنكيرُ للتَّعظيم؛ إذا أُريد بالخبيرِ: اللهُ تَعالى.

بَلاغَةُ التَّمثيلِ في ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾:

عُـلُـوُّ الـبَـيـانِ القُرْآنيِّ عَلى كُلِّ كَلامٍ آخَرَ مَهْما كانَ بَليغًا

قولُ اللهِ ﷻ: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾، يَجْري مَجْرى المَثَلِ، وهو نظيرُ قولِ العَرَب: (عَلى الخَبيرِ سَقَطْتَ)، يقولُ ذلكَ العارِفُ بالشَّيْءِ؛ إذا سُئِلَ عَنْهُ، وهذا المَثَلُ معَ قولِ اللهِ تَعالى: ﴿فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا﴾ مُتَساويانِ في الحُروفِ المَنْطوقِ بِها - وإنِ اخْتَلَفا في عدَدِ الحُروفِ، باعْتبارِ صورَةِ المَكْتوبِ - ولَكِنَّ المَثَلَ القُرآنيَّ أفصَحُ وأبلغُ مِن ثلاثَةِ أَوْجُهٍ[3]:

أحدها: سَلامَتُهُ مِنَ الثِّقل الحاصِل بِتَلاقي القافِ والطّاء والتّاء، في قولِ العَرَبِ: (سَقَطْتَ).

ثانيها: كونهُ أشرفَ مِن جِهَةِ سلامَتِه مِن مَعْنى السُّقوطِ.

(1) الشّهاب الخفاجيّ، عناية القاضي وكفاية الراضي: 6/ 433.
(2) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 61.
(3) ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 19/ 61.

ثالثُها: هو أبلغُ في المَعْنى؛ لِما فيهِ مِن عُمومِ كُلِّ خبيرٍ في قولِ بعضِ أَهْلِ العِلْمِ - بِخِلافِ قَوْلِ العرَبِ: (عَلى الخَبِير سَقَطْتَ)؛ فإنَّ مرادَ المتكلِّمِ نفسُهُ لا العمومُ.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

الخُبْر والعِلْم:

الخُبْرُ أَخَصُّ مُطْلَقًا مِنَ العِلْمِ

العلاقَةُ بينَ الخُبْر والعِلْم علاقَةُ عموم وخصوصٍ مُطْلَقٍ؛ وذلكَ أنَّ العلمَ أعَمُّ مُطْلَقًا مِنَ الخُبْر، ووجهُ ذلكَ أَنَّ حقيقةَ الخُبْرِ العلمُ بكُنْهِ المَعْلوماتِ عَلى حقائِقِها، ففيهِ مَعْنًى زائِدٌ على العِلْم[1]، ولذا قالوا في معنى اسْم اللهِ تَعالى (الخَبير): إنَّه العالِمُ بِبَواطِنِ الأمورِ، وأمّا العلمُ؛ فهو أَشْمَلُ وأعَمُّ.

(1) أبو هلال العسكريّ، الفروق اللّغوية، ص: 93.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الثامن والثلاثون،
سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 38 ، 808 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-80-8
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 38 : المجلد الثامن والثلاثون، سورة الفُرقَان من الآية 43 إلى سورة الشُّعَراء الآية 95.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-80-8
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-5248773 بتاريخ 2024/11/26م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»